علوم القرآن

جَمْع القرآن الكريم

1- تدوين القرآن الكريم في عهد النبي (صلّى الله عليه وسلّم):

كان النبي (صلّى الله عليه وسلّم) أميًّا لا يعرف القراءة، والكتابة، ولذلك اتّخذ له كتابًا. سُمّوا «كُتّاب الوحي»، فكان هؤلاء يتلقّون ما يُنزَّل عليه، خلال مُدّة التنزيل التي دامت ثلاثًا وعشرين سنة، على أرجح الأقوال[1]، فيكتبونه بوعي، وإدراك، ودقّة، وإتقان على العُسُب[2]، واللّخاف[3]، والرقاع[4]، وقِطع الأديم[5]، والأكتاف[6]، والأضلاع، والأقتاب[7].

وكان الذين كتبوا الوحي «أئمّة ثقات، تجرَّدوا لتصحيحه، وبذلوا أنفسهم في إتقانه، وتلقّوه من النبي (صلّى الله عليه وسلّم) حرفًا حرفًا، لم يهملوا منه حركة، ولا سكونًا، ولا إثباتًا، ولا حذفًا، ولا دَخَلَ عليهم في شيء منه شكّ، ولا وَهْم. وكان منهم من حَفظه كلّه، ومنهم من حفظ أكثره، ومنهم من حفظ بعضه»[8].

1- انظر الفصل الثالث من كتابنا هذا.
2- العُسُب: جمع عسيب، وهو جريد النخل. كانوا يكشطون الخوص، ويكتبون في الطرف العريض منه.
3- اللّخاف: جمع لَخْفة، وهي الحجارة الدِّقاق، وقيل: صفائح الحجارة.
4- الرقاع: جمع رقعة، وقد تكون من جلد، أو ورق.
5- الأديم: الجلد.
6- الأكتاف: جمع كتف، وهو العظم الذي للبعير أو الشاة، كانوا إذا جفَّ، كتبوا عليه.
7- الأقتاب: جمع قَتَب، وهو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير، ليُرْكَب عليه.
8- النشر في القراءات العشر 6/1.

وبلغ عدد كُتّاب الوحي تسعةً وعشرين كاتبًا، أشهرهم الخُلَفاء الخمسة الأوائل، والزبير بن العوام، وسعيد بن العاص، وأُبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت[9].

وحَرَصَ النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) كلّ الحرص على منع كتابة أيّ شيء عنه سوى القرآن، كي لا يختلط به ما ليس منه. يدلّ على ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري أنَّ النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) قال: «لا تكتبوا عني شيئًا سوى القرآن، فمن كتب عني شيئًا سوى القرآن، فلْيَمْحه»[10].

وقال أبو هريرة: «خرج علينا رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) ، ونحن نكتب الأحاديث، فقال: ما هذا الذي تكتبون؟ قلنا: أحاديث سمعناها منك. قال: «أكِتابًا غير كتاب الله تريدون؟! ما أضَلَّ الأممَ من قَبْلِكم إلاّ ما اكتتبوا من الكتب مع كتاب الله تعالى»[11].

وكان الملاك جبريل يُعارض النبي (صلّى الله عليه وسلّم) بالقرآن كلّ سنة في شهر رمضان، ففي صحيح البخاري: قال مسروق عن عائشة عن فاطمة، رضي الله عنهما: أسَرَّ النبيُّ (صلّى الله عليه وسلّم) إليَّ أنَّ جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة، وأنه عارضني [هذا] العامَ مرَّتين، ولا أراه إلاّ حضور أجلي»[12].

وكان الصحابة، رضوان الله عليهم، يتنافسون في حفظ القرآن، وكثرة تلاوته، ويعرضون ما يحفظونه على الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) . قال ابن مسعود: «قال لي رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) : اقرأ عليّ، ففتحت سورة النساء، فلما بلغت ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ (النساء: ٤١)، رأيت عينيه تذرفان من الدمع، فقال: حسبك الآن»[13].

وعليه، نستطيع القول: إن القرآن الكريم كما هو مكتوب في المصحف العثماني الذي بين أيدينا، هو الذي نُزِّل على النبي (صلّى الله عليه وسلّم) من غير تقديم، أو تأخير، وبدون زيـــــــادة، أو

---

[9]- مدخل إلى القرآن الكريم للدكتور محمد عبد□ دراز، ص 34.

[10]- تقييد العلم للخطيب البغدادي. ص 29.

[11]- المصدر نفسه. ص 33.

[12]- البرهان في علوم القرآن 232/1.

[13]- كتاب الحجة لأبي علي الفارسي، ص 11.

نقص.

2- جَمْع القرآن في عهد أبي بكر الصِّدّيق:

لم يُجْمَع القرآن في مُصحف على عهد النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) . والحِكْمة من ذلك، كما قال الخطابيّ، ما كان الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) «يترقّبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته. فلما انقضى نزوله بوفاته، ألْهَمَ الله الخلفاء الراشدين ذلك، وفاءً بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة»[14].

وكان القرآن مكتوبًا كلّه في عهد الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) ، ولكنّه غير مجموع في موضع واحد، ولا مُرتَّب السُّوَر.

والذي دفع أبا بكر الصِّدِّيق إلى جمعه شَرَحَه لنا جامع القرآن، زيد بن ثابت، إذ قال:

«أرسل إليّ أبو بكر عقبَ مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده. فقال أبو بكر: إنَّ عمر أتاني، فقال: إنَّ القتل قد استحرَّ[15] يوم اليمامة بقرّاء القرآن، وإنّي أخشى أن يستحرّ القتل بالقُرّاء في المواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإنّي أرى أن تأمر بجمع القرآن. فقلت لعمر: كيف نفعل شيئًا لم يفعله رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) ؟ قال عمر: هو، والله، خير. فلم يزل يُراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت، في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد: قال أبو بكر: إنك شابّ عاقل لا نتَّهمك، وقد كنتَ تكتُب الوحي لرسول الله، فتتَبَّع القرآن، اجمَعْه. فوالله، لو كلّفوني نقل جبل من الجبال، ما كان أثقل عليّ مِمّا أمرني به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلان شيئًا لم يفعله رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) ؟ قال: هو، والله، خير. فلم يزل أبو بكر يُراجعني، حتى شرح الله صدري للذي شرح الله صدر أبي بكر وعمر، فتتبَّعتُ القرآن أجمعه من العُسُب، واللّخاف، وصدور الرجال»[16].

ومن هذا النصّ يتبيّن لنا ما يلي:

---

[14]- الإتقان في علوم القرآن 126/1.
[15]- استحرّ: اشتدّ.
[16]- الإتقان في علوم القرآن 126/1 – 127.

أ- إنَّ الخشية من ضياع النص القرآني، والحرص على حفظه من دون أي زيادة، أو نقصان، أو تحريف هو الذي دفع عمر إلى الطلب من أبي بكر كي يجمع القرآن.
ب- إنَّ سبب تشريف زيد بن ثابت بالقيام بهذه المهمّة، يعود إلى ثلاثة أسباب: أوّلها أنّه شابّ، وفي الشباب قدرة على تحمُّل الأعباء، وذاكرة قويّة. وثانيها أنّه «عاقِل» ومُنزَّه عن الاتّهام في دينه. وثالثها أنّه كان من كَتَبة الوحي.
وقام زيد بجمع القرآن، مُتَّبعًا في هذا الجمع، الخُطة التالية:

أ- «لا يُقبل من أحد شيء حتى يشهد شاهدان»[17]، وذلك للمبالغة في الاحتياط والتحرّي في الدقّة، مع أنَّ زيدًا كان من حُفّاظ القرآن الكريم. وهذا التمسُّك بشاهدين أخذه من قول أبي بكر له ولعمر: «اقعدا على باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله، فاكتباه»[18].
ب- لا يُكتفى بالمكتوب دون المحفوظ، فقد يكون هناك خطأ في المكتوب لا يُؤيِّده المحفوظ.
ج- لا يُكتفى بالمحفوظ دون المكتوب، فإنَّ المحفوظ وحده، وإن تواتَرَ، غير كافٍ ما لم يكن مكتوبًا.

3- تعدُّد المصاحف:

كان إلى جانب المصحف الذي جمعه زيد بن ثابت عدّة مصاحف فرديّة، أشهرها مصحف عليّ بن أبي طالب، كرَّم الله وجهه، ومصحف أبيّ بن كعب، ومصحف عبدالله بن مسعود. ولم يحاول أبو بكر الصّديق إتلاف هذه المصاحف، بعد أن قام زيد بن ثابت بمهمّته في جمع القرآن، لأنّه لم تَحْدثْ وقائع تدعو إلى توحيد المصاحف من ناحية، ولأنَّ القرآن نُزِّل على سبعة أحرف للتيسير، وللترغيب في قراءته، من ناحية أخرى.

4- القرآن في خلافة عمر بن الخطاب:

لمّا فرغ زيد بن ثابت من كتابة المصحف في عهد أبي بكر، سلّمه إلى أبي بكر، فبقي عنده حتى حضرته الوفاة، فسلّمه إلى عمر بن الخطاب، فأمسكه عمر طوال حياته، فلما توفّي، تسلَّمته ابنته حفصة.

---

[17]- الإتقان في علوم القرآن 128/1.
[18]- الإتقان في علوم القرآن 128/1.

5- توحيد المصاحف ونسخها في خلافة عثمان بن عفان:

اتسعت الفتوحات في عهد عثمان بن عفان، وكَثُرَ الداخلون في دين الله، وتعدَّدت القراءات. وقد ساعد على هذا التعدُّد وجود المصاحف الفرديّة التي أشرنا إليها منذ قليل.

وكادت كثرة الاختلافات في القراءات تؤدّي إلى الفِتَن بين المسلمين، فقد روى البخاري «عن أنس أنَّ حذيفة بن اليمان قدِمَ على عثمان، وكان يُغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان، مع أهل العراق، فأفزعَ حذيفةَ اختلافُهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرِكْ هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى. فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثمّ نردها إليكِ. فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف[19].

وبعد أن أنهى هؤلاء نَسْخ المصاحف، جمع عثمان مصاحف الصَّحابة، فأحرقها، أو محاها، على اختلاف في الرواية، ثمّ «وجَّهَ بمصحفٍ إلى البصرة، ومصحف إلى الكوفة، ومصحف إلى الشام، وترك مصحفًا بالمدينة، وأمسك لنفسه مصحفًا [وهو] الذي يقال له الإمام. ووجَّه بمصحف إلى مكّة، وبمصحف إلى اليمن، وبمصحف إلى البحرين. وأجمعت الأمّة المعصومة من الخطأ على ما تضمّنته هذه المصاحف، وتَرْك ما خالفها من زيادة ونقص، وإبدال كلمة بأخرى، مما كان مأذونًا فيه توسعةً عليهم، ولم يثبت عندهم ثبوتًا أنَّه من القرآن»[20].

وهكذا وحَّدَ عثمانُ المسلمين على مصحف واحد، إذ اجتزَّ الخلاف من جذوره، وأبقى لهم كتاب ربّهم معصومًا عن أيّ تحريف، أو زيادة، أو نقصان.

6- اللغة التي كُتب بها القرآن:

---

[19]- صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن 161/3؛ والإتقان في علوم القرآن 130/1.
[20]- النشر في القراءات العشر 7/1.

قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا ﴾ (يوسف: ٢). والمقصود بـ«العربيّة» هنا لغة قريش، فالرسول (صلّى الله عليه وسلّم) قرشيّ، وقريش كانت أفصح العرب. وقد قال عثمان للرهط القرشيين الذين كتبوا المصحف: «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنَّه إنّما نُزِّل بلسانهم، ففعلوا»[21]. وقال الزهري: «اختلفوا في «التابوت»، فقال زيد: هو التابوه. وقال النفر القرشيون: هو «التابوت»، فرُفِع الأمر إلى عثمان، فقال: اكتبوه بلسان قريش، فإنَّ القرآن نزل بلسانهم»[22].

ولكنّ لغة القرآن لم تقتصر على لغة قريش، ففيه أيضًا من لهجات القبائل، وقد فُسِّرت عبارة «سبعة أحرف» في قول الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) : «إنّ هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف»، بأنها سبع لهجات (لغات) للقبائل العربيّة.

وفي القرآن كلمات غير عربيّة (فارسية، ورومية، وعبريّة، وحبشيّة...)، لكنها أصبحت عربيّة بدخولها في لغة قريش والقرآن، وخضوعها لقواعد العربية، وصياغتها صياغةً عربيّة مَحْضة.

ولا تُعَدّ ترجمة القرآن إلى أي لغة قرآنًا، لأنّ القرآن عربيّ اللغة، ولاحتمال الخطأ في الفهم، والترجمة، وإنما هي ترجمة لمعاني القرآن: ولأنّ إعجازه يكمن في وَجه من وجوهه، بلغته العربيّة التي نزل بها.

✵ ✵ ✵

---

[21]- الإتقان في علوم القرآن 130/1.
[22]- الزينة 146/1.